﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٧٣﴾ [القصص: 73]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

في تَصَرُّم اللّيل والنّهار العِبَر، وفي تعاقبهما الذِّكرى والمذَّكر

لمّا بيَّن سبحانه أنَّ اللّيل والنَّهار وما يحدث بينهما من تعاقب من دلائل القدرة العظمى، ومن أجلِّ مظاهر الرَّحْمَى؛ بيَّن سبحانه أنَّهما يشتملان كذلك على مظاهرَ عظيمةٍ كبرى؛ فقد دبَّر سبحانه فيهما وبهما مصالح العباد؛ ورتَّب سبحانه لهم طرق العيش المراد؛ فجعل اللّيل سكنًا لهم ولباسًا، وقرارًا وإيناسًا؛ تسكن فيه الحركات، وتأوي فيه الكائنات، وجعل النَّهار للسَّعي والعمل، وباعثًا في النفوس الأمل؛ فـ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠﴾ [القصص: 70][1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ﴾: أصل (بغي) يدلُّ على طلب الشَّيء[2]. والبَغْي: التَّعدّي، وطلب تجاوُزِ الاقتصادِ فيما يُتَحرَّى، تجاوَزَه أمْ لمْ يُجاوِزْه[3]. وأكثر استعمال البَغْي في الأشياء المذمومة، لا سيما إذا أطلق، نحو: زيد بَغَى[4]. والبُغْيَة: الحاجة وكلُّ ما يطلبه الإنسان من خير أو شرٍّ، يقال: لي في بني فلان بُغيةٌ؛ أي: حاجة. وبغى الشَّيءَ خيرًا كان أو شرًّا، يَبغيه: طَلَبَه[5]. وابتغى افتعالٌ من البَغْي بمعنى الطَّلَب[6]، فالابتغاء: الاجتهاد في الطَّلَبِ، ثم يكون هذا الابتغاء محمودًا، إن

(1) البِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 14/ 344، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 171.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بغي).
(3) الجوهريّ، الصّحاح، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، وابن منظور، لسان العرب: (بغي).
(4) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: (بغي).
(5) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزَّبيديّ، تاج العروس: (بغي).
(6) السَّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: (بغي).

كان الطَّلب لشيء محمود، ويكون مذمومًا إن كان الطَّلَبُ لشيءٍ مَذْموم[1]. وقوله تعالى: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾؛ أي: لتطلبوا من رزقه في النَّهار[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُبيّن السِّياق القرآنيُّ في هذه الآية الكريمة مدى منَّةِ الله ورحمته بالنّاس جميعًا؛ حيث يقول: ومِنْ مظاهر رحمة الله بكم أيُّها النّاس أنْ خلق لكم اللّيل للاستقرار والرّاحة لأبدانكم مِنْ تعبِ التَّصرُّف نهارًا في شؤونكم المختلفة، وخلق النَّهار للسَّعي على أرزاقكم ومنافعكم المتعدِّدة؛ وذلك لحكمة عظيمة؛ هي أن تعرفوا نعمة الله وفضلَه عليكم في ذلك، فتشكروه بالطّاعة والتَّقرُّب إليه سبحانه بكلِّ أنواعِ العباداتِ في اللّيل وفي النَّهار[3].

من آثار رحمة ربّنا المنّان أنْ خلق لنا اللّيل والنَّهار بحُسْبان

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو ودلالتُها في: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ حرف استئناف[4]، وجوّز أن تكون عاطفة[5]، فتكون جملة ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ الآية معطوفةً على جملة: ﴿أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾[6].

من جَعَلَ لكم السَّمع والأبصار بحكمته جَعَلَ لكم اللّيل والنَّهار برحمته

والحاصل أنَّه لمّا بيَّن سبحانه وبحمده حكمته في الآيتين السّابقتين مِنْ جَعْلِ السَّمع والأبصار، لنتدبَّر آياته، ونتبصَّر في مصنوعاته، قال ﷻ: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ﴾؛ أي: الّتي وسعت كلَّ شيء لا مِن غيرها من خوفٍ أو رجاءٍ أو تعلُّقِ غرضٍ من الأغراض ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ

(1) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، والزَّبيديّ، تاج العروس: (بغى).
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 308.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 227، والهرريّ، الحدائق: 21/ 262.
(4) الدرّة، تفسير القرآن وإعرابه: 7/ 107، ومحمود صافي، الجدول: 10/ 289.
(5) بهجت صالح، الإعراب المُفَصَّل: 8/ 442.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 171.

﴿وَٱلنَّهَارَ﴾ آيتين عظيمتين دَبَّرَ فيهما وبهما جميعَ مصالحكم، وادَّخر معظم رحمته إلى الآخرة ومحا آية اللّيل ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾؛ أي: فلا تسعَوا في معاشكم، وجعل آية النَّهار مبصرةً (لِتَبْتَغوا مِنْ فَضْلِهِ) بأن تسعَوا في معاشكم بجهدكم[1].

فهذا تصريح بنعمة تعاقب اللّيل والنَّهار على النّاس بقوله سبحانه: ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾، وذلك ممّا دلَّت عليه الآية السّابقة بطريق الإدماج بقوله تعالى: ﴿يَأۡتِيكُم﴾، وبقوله ﷻ: ﴿تَسۡكُنُونَ فِيهِۚ﴾[2].

سرُّ إيثار التَّعبير بالرَّحمة:

الرَّحمة أعمُّ من الفضل وأرحب

عُبِّر بالرَّحمة في مَعرِضِ النِّعم ولم يُعَبَّرْ بالفضل أو غيرِه؛ لما في الآية من رفع العَنَتِ والعَذابِ الّذي كانَ سيقعُ على النّاس بجعل اللّيل سرمدًا أو النَّهار، فناسب هذا ذكر رحمة الله، ولأنَّ الرَّحمة أعمُّ من الفضل فتشمل النِّعم الظّاهرة والباطنة، وأيضًا لعدم تكرار كلمة الفضل المذكورة في قوله: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾.

معنى (مِن) ودلالتها في ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾:

تعاقب اللّيل والنَّهار لتحقيق السُّكون في الأوّل والابتغاء في الثاني

(مِن) في قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ تبعيضيَّة فإنَّ رحمة الله بالنّاس حقيقة كلّيَّة لها تحقُّقٌ في وجود أنواعها وآحادها العديدة، والمجرور بـ(مِن) يتعلَّق بالفعل ﴿جَعَلَ﴾، وكذلك يتعلَّق به ﴿لَكُمُ﴾، والمقصود إظهار أنَّ هذا رحمة مِن الله تعالى، وأنَّه بعضٌ مِن رحمته الّتي وسعت كلَّ شيء ليتذكَّروا بهما نعمًا أخرى[3].

ويجوز أن تكون (مِن) سببيَّة[4]؛ أي: بسببِ رحمته جلَّ شأنُه

(1) البِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 14/ 345.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 171.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 171.
(4) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 8/ 54، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 315.

﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾؛ أي: في اللّيل ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾؛ أي: في النَّهار بالسَّعي بأنواع المكاسب(1).

والأصل في معنى (مِن) أنَّه موضوعٌ للدَّلالة على ابتداء الغاية(2)، فإنَّ تعاقبَ اللّيل والنَّهار لتحقيق السُّكون في الأوَّل والابتغاء مِن فضل اللّه تعالى في الثّاني إنَّما هي نعمة مبتدَأةً من رحمة اللّه تعالى.

الموقع النَّحويُّ والبيانيُّ لـ﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾:

من رحمة الله جعلُ النَّهار للسَّعي واللّيل للسَّكَن

قوله تعالى: (مِن رَّحۡمَتِهِۦ) شبه جملة في محلِّ رفع خبر مقدَّم، وقوله سبحانه: ﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾ مؤوَّلٌ بمصدرٍ بتقدير: (أنْ) مبتدأٌ مؤخَّرٌ، وهو كثير في كلامهم، ومنه المثل: (تسمعَ بالمعيديِّ خيرٌ مِن أنْ تراه)(3)؛ أي: أن تسمع بالمعيديِّ. فتقدير الكلام: جعلُ اللّهِ سبحانه اللّيلَ لكم لتسكنوا فيه والنَّهارَ لكم لتبتغوا فيه من فضله؛ كائنٌ من رحمته.

نكتة تقديم شبه الجملة على عامله:

ما قُدِّم هو الأهمّ، والعناية بإظهاره أتمّ

قُدِّم الجارُّ والمجرور (مِن رَّحۡمَتِهِۦ) على عامله ﴿جَعَلَ﴾ للاهتمام بمنَّة الرَّحمة(4)، فما قُدِّم في الكلام أوَّلًا هو الأهمُّ، والعناية بإظهاره أتمُّ، فتقديم الرَّحمة في جعله سبحانَه اللّيلَ والنَّهارَ أهمُّ من الجعل نفسِه إذ هو الدّاعي إلى الشُّكر المشار إليه في آخر الآية. وقد أدَّى هذا التَّقديمُ أيضًا إلى التَّشويق إلى المتأخِّر، ليتمكَّن من النَّفس كلَّ تمكُّنٍ، فكأنَّه أُريد أن تلتفت الأنظار إلى تعظيم نعمةِ تعاقبِ اللّيلِ والنَّهار، وإدراكِ أنَّها من آثار رحمة اللّه تعالى، ولا يكون اعتيادُها عليها، وإلفُها إيّاها، صارفًا لها عن تدبُّرها والتَّفكُّر فيها. ولمّا كان السِّياق سياقَ امتنانٍ وتذكير ناسبَ تقديمَ الرَّحمة على الجعل.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 315.
(2) سِيبَوَيْهِ، الكتاب: 4/ 224، والزَّمَخْشَريّ، المُفَصَّل، ص: 379، وابن يعيش، شرح المُفَصَّل: 4/ 459، والسّامُرّائيّ، معاني النّحو: 3/ 75.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 368.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 171.

معنى اللّام ودلالتُها في لفظ ﴿لَكُمُ﴾:

إفـــادة تبليغ نعمة الله تعالى للنّاس

الأصل في معنى (اللّام) أنَّه موضوع للدَّلالة على الاختصاص[1].

وقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾؛ أي: خلقهما لأجلكم[2]؛ فإنَّما تعود منفعة تعاقب اللّيل والنَّهار على النّاس. فإن قيل: بل هو كذلك للدَّوابّ والأنعام والشَّجر والثَّمر، قيل: إنَّ الدَّوابَّ والأنعام... إلخ، مُسَخَّرَةٌ للبشر كما قال سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ﴾ [الجاثية: 13]، وقوله سبحانه - بعد ذِكر جملة من النِّعم المُسَخَّرة -: ﴿مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٣﴾ [النازعات: 33].

بلاغة اللّف والنَّشر:

الإيجاز اعتمادًا على المقابلة

سُلِك في قوله: ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ طريقةُ اللَّفِّ والنَّشر، فيعود قوله تعالى: ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾ إلى اللّيل، ويعود قوله تعالى: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ إلى النَّهار، وهو لَفٌّ ونَشْرٌ مُرَتَّبٌ[3].

والتَّقدير: (جعل لكم اللّيل لتسكنوا فيه، وجعل لكم النَّهار لتبتغوا من فضله فيه)، فحذف الضَّمير وجارَّه إيجازًا؛ اعتمادًا على المقابلة[4].

"مع الإشارة بهذا الجمع إلى احتمال أن يسكن بعض النّاس في النَّهار، ويبتغي كسبَ رزقِه من فضل الله في اللّيل، لكنَّ هذا خلافُ ما هو الأصلح للنّاس بمقتضى تكوينهم الفِطْريّ"[5].

وقد أدَّى استخدام هذا الأسلوب البديعيّ إلى عطف النَّهار على اللّيل من دون أن يفصل بينهما فاصل كلاميٌّ، فجاء النَّظم: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ إشارة إلى صورة تعاقبهما في الواقع دون أن يفصل بين ذهاب النَّهار وحلول اللّيل فاصلٌ.

---

(1) سِيبَوَيْهِ، الكتاب: 4/ 217، والزَّمَخْشَرِيّ، المُفَصَّل، ص: 282، وابن يعيش، شرح المُفَصَّل: 4/ 479، والسّامُرّائِيّ، معاني النّحْو: 3/ 64.

(2) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 8/ 54.

(3) الشَّعراويّ، تفسير الشعراوي: 18/ 11003.

(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 171.

(5) الميداني، البلاغة العربيَّة: 2/ 404.

معنى اللّام ودلالتُها:

ظـهـور النـعـم سـبـب لـشـكـر المنعِم الجليل

اللّام في ﴿لِتَسۡكُنُواْ﴾ وفي ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ﴾ كلاهما للتَّعليل، ومدخولاهما علَّتان لجعل اللّيل والنَّهار المستفاد من الفعل ﴿جَعَلَ﴾[1]، وللتَّنبيهِ على انفرادِ كلٍّ مِن المَنْفَعَتَينِ في عِلِّيَّة كلِّ واحد منهما على التَّوزيع؛ أُعيد اللّامُ في قوله: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾[2]. أي: ومن رحمته أنه سبحانه زاوَجَ بين اللّيل والنَّهار لتسكنوا في أحدهما وهو اللّيل، ولتبتغوا من فضله في الآخَر وهو النَّهار، ولأداء الشُّكر منكم على المَنْفَعَتَينِ معًا[3].

معنى (في) ودلالتُها، وتوجيه عود ضمير الغائب:

الزَّمَن كالوعاءِ المحيط بما فيه حقيقيَّة

الأصل في معنى (في) أنَّه موضوع للدَّلالة على الظَّرفيَّة والوعاء، مكانيَّةً أو زمانيَّةً، حقيقيَّةً أو مجازيَّةً[4]. وقوله تعالى: ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾؛ أي: لتسكنوا في وقتِ اللّيل وزَمَنِه، ويجوز أن تعود الظَّرفيَّة على الزَّمن عامَّةً فيكون المعنى: جعل لكم الزمان ليلًا ونهارًا لتسكنوا فيه، ولتبتغوا مِنْ فَضْلِه[5]، فرَجعتِ الهاء في ﴿فِيهِ﴾ عليهما جميعًا، كما تقول: إقبالك وإدبارك يؤذيني؛ لأنَّهما فعل، والفعل يُرَدُّ كثيرُه وتثنيتُه إلى الإفراد، فيكون ذلك صوابًا[6]. والحاصل أنَّ (في) جَعَلَتِ الزَّمَنَ كالوعاءِ المحيط بما فيه.

دلالة العطف:

علة السُّكون في اللّيل مغايرة لعِلَّة الابتغاء من فضل الله في النَّهار

جاء العطف بين الجملتين في ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ للمغايرة بين العِلَّتَيْن، فعِلَّةُ السُّكون في اللّيل مغايرةٌ لعِلَّة الابتغاء من

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 171.
(2) ابن كمال باشا، تفسير ابن كمال باشا: 8/ 54.
(3) الفخر الرّازيّ، تفسير الرّازي: 25/ 12.
(4) سِيبَوَيْهِ، الكتاب: 4/ 226، والزَّمَخْشَريّ، المُفَصَّل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المُفَصَّل، 4/ 471، والسّامُرّائيّ، معاني النّحو: 3/ 57.
(5) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 153.
(6) الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 310.

فضل الله في النَّهار، وقُدِّم السَّكن في اللّيل على الابتغاء من فضل الله بالنَّهار لأنَّ السَّكن لازم للابتغاء، فبه يتقوَّى المرء على السَّعي. ومع حصول المغايَرَة فإنَّ بين المعنيين تكاملًا واتِّصالًا وتلاؤمًا فكريًّا حسَّنَ الجمع بينهما في نسَقٍ واحد. فلا معنى للسَّكن بدون سعيٍ يسبقُه، ولا معنى للسَّعي إلّا بسكنٍ يلحقُه.

معنى ﴿مِن﴾ ودلالتُها:

إظـهـار الفضل والعناية

الأصل في معنى ﴿مِن﴾ أنَّه موضوع للدَّلالة على ابتداء الغاية[1]. وهو بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾؛ أي أنَّ مبتدأ الابتغاءِ هو فضلُ الله تعالى، فيكون الابتغاء نفسه فضلًا من الله تعالى، وبَدْءُ الابتغاء كائنٌ هو أيضًا من فضل الله تعالى، فالّذي أقدَرَ عباده على السَّعي هو الله سبحانه، فهذا فضل منه تعالى عظيم، والّذي دبَّر لهم ما يسعون فيه لابتغاء الرِّزق هو الله تعالى، فهذا خير منه أيضًا سبحانه جلّ وعزّ. فكلُّ هذه النِّعم العظام والمِنَنِ الجِسام بَعضُ رحمةِ الله وفضلِه على عباده. وفيه من التَّبكيت للكفّار ما فيه؛ إذ لم يشكروا بعضَ ما ظهر من نعمه سبحانه عليهم. وفي الآية نفي للإيجاب منه أو الوجوبِ عليه تعالى[2].

توجيه عَوْدِ الضَّمير في ﴿فِيهِ﴾ و﴿فَضْلِهِۦ﴾:

تـكـثـير المـعـاني بتوجيه المراد من المباني

الضَّمير في ﴿فِيهِ﴾ من قوله تعالى: ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ يجوز أن يرجع على اللّيل خاصَّة على إضمار هاء أخرى للابتغاء تكون للنَّهار؛ ﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾ فيه ﴿مِن فَضْلِهِۦ﴾. ويجوز جَعْلُ اللّيل والنَّهار كالفعلين لأنَّهما ظُلمةٌ وضوءٌ، فترجع الهاء في ﴿فِيهِ﴾ عليهما جميعًا، كما يقال: إقبالك وإدبارك يؤذيني؛ لأنَّهما فعلٌ، والفعل يُرَدُّ كثيرُه وتثنيتُه إلى التَّوحيد[3].

(1) سِيبَوَيْهِ، الكتاب: 4/ 224، والزَّمَخْشَريّ، المُفَصَّل، ص: 379، وابن يعيش، شرح المُفَصَّل: 4/ 459، والسّامُرّائيّ، معاني النّحْو: 3/ 75.

(2) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 8/ 54.

(3) الفرّاء، معاني القرآن: 2/ 309.

وأمّا الضَّمير في ﴿فَضۡلِهِۦ﴾ من قوله تعالى: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ فيجوز أن يكون الضَّمير عائدًا على الله تعالى، والتَّقدير: (لِتَبتغوا من فضل الله فيه)، أي في النَّهار. وحُذفَ لدلالة المعنى عليه، ولدلالة لفظ ﴿فِيهِ﴾ السّابق عليه. وهذا هو الأقرب الأظهر. ويُحتمَل أن يعودَ الضَّمير على النَّهار؛ أي: من فضل النَّهار، وتكون إضافته إلى ضمير النَّهار على سبيل المجاز؛ إذ لمّا كان الفضل حاصلًا فيه، أُضيفَ إليه، كقوله: ﴿بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ: 33] على الإسناد المجازيّ[1]. وفيه إشارة إلى مدح السَّعي في طلب الرِّزق[2].

بلاغة الكناية في الآية:

لا مزيد للعبد على معنى الطَّلب، والرِّزق محضُ فضلٍ من الله

الأصل في معنى الابتغاء في قوله تعالى: ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ أنَّه الطَّلَب، والأصل في معنى الفضل أنَّه الزِّيادة. والابتغاء من فضل الله تركيبٌ يُقصد به طلب المال عن طريق التِّجارة ونحوها ممّا أباحه الشَّرع الحنيف، ومِنْ ثَمَّ جُعِلَ كنايةً عن العمل والطَّلب لتحصيل الرِّزق. نحو قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: 20]. والرِّزقُ: فضلٌ مِن اللهِ[3]. وفي التَّعبير بالابتغاء عن كسب العبدِ إشارةٌ إلى أنَّه لا مزيدَ له على معنى الطَّلب، ففيه نفيٌ للتَّأثير مِن جهته، كما أنَّ في قوله تعالى: ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ نفيًا للإيجاب أو الوجوبِ عليه تعالى[4].

نكتة إسقاط الظَّرفيَّة في آية النَّهار:

ابتغاء فضل الله الواسعِ الفضلِ المنّان لا يُقيَّد بظرف ولا زمان

الضَّمير في قوله تعالى: ﴿مِن فَضۡلِهِۦ﴾ يعود إلى لفظ الجلال؛

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 8/ 322.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 315.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 171.
(4) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 8/ 54.

أي: من فضل اللّه. والابتغاء من فضل اللّه يكون في كل وقت: في النَّهار، وفي اللّيل؛ ولهذا لم يُقيَّد بظرفٍ كما قُيِّد السَّكَن[1].

بلاغة المقابلة في الآية:

صِحَّةُ المقابَلات من فنون البلاغة الظّاهرة والفصاحة المتظاهرة

"جاء اللّيل والنَّهار في صدر الكلام وهما ضدّان، وجاء السُّكون والحركة في عَجُزِه وهما ضدّان، وجاءت مقابلة كلِّ طرفٍ منه بالطَّرف الآخر على التَّرتيب، وعبَّر سبحانه عن الحركةِ بلفظِ الإرداف، فاستلزم الكلام ضربًا من المحاسن زائدًا على المقابلة، والّذي أوجب العدولَ عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل؛ كون الحركة تكون لمصلحةٍ ولمفسدةٍ، وابتغاءُ الفضل حركةٌ للمصلحةِ دونَ المفسدَة وهي اشتراكُ الإعانة بالقوَّة وحسنِ الاختيار الدّالِّ على رجاحةِ العقل، وسلامة الحسّ، ويستلزم إضاءة الطَّرف الّذي تلك الحركةُ المخصوصة واقعةٌ فيه ليهتديَ المتحرّك إلى بلوغ المآرب ووجوه المصالح، ويتقيَ أسبابَ المعاطب، والآية سيقت للاعتداد بالنِّعم فوجب العدولُ عن لفظِ الحركة إلى لفظٍ هو ردفُه وتابعه ليتمَّ حسنُ البيان، فتضمَّنت هذه الكلمات - الّتي هي بعضُ آية - عدَّةً من المنافع والمصالح الّتي لو عُدِّدت بألفاظها الموضوعة لها لاحتاجت في العبارة عنها إلى ألفاظٍ كثيرة، فحصل بهذا الكلام بهذا السَّبب عدَّة ضروب من المحاسن! ألا تراه سبحانه جعل العلَّة في وجود اللّيل والنَّهار حصول منافع الإنسان حيث قال: ﴿لِتَسْكُنُواْ﴾، و﴿وَلِتَبْتَغُواْ﴾ بلام التَّعليل فجمعت هذه الكلماتُ المقابلةَ والتَّعليلَ والإشارةَ والإردافَ والائتلافَ وحُسنَ النَّسقِ وحُسنَ البيان لمجيء الكلام فيها متلاحمًا آخذةً أعناقُ بعضه بأعناق بعضٍ، ثمَّ أخبر بالخبر الصّادق أنَّ جميعَ ما عدَّده من النِّعم الّتي هي من لفظَي الإشارة والإرداف بعضُ رحمته حيث قال بحرف التَّبعيض: ﴿وَمِن

(1) عبد الكريم يونس الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 10/ 379.

رَّحۡمَتِهِۦ﴾ وكلُّ هذا في بعض آية عِدَّتُها إحدى عشرة لفظةً! فالحظْ هذه البلاغةَ الظّاهرة والفصاحةَ المتظاهرة"[1].

بلاغة الإيجاز في الآية:

الاحتباك من فنون الإيجاز الفصيحة، وفيه تنشيط للأذهان الصَّحيحة

في الآية احتباك بديع، تقديره: جعل الله تعالى لكم اللّيل ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ﴾، فلا تسعوا في طلب الرّزق، وجعل لكم النَّهار ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ فلا تسكنوا فيه. فذَكَر السُّكونَ أوَّلًا دليلًا على حذف السَّعي في المعاش ثانيًا، وذكر الابتغاءَ ثانيًا دليلًا على حذف عدم السَّعي في المعاش أوَّلًا[2].

وإن كان السُّكونُ في النَّهار ممكنًا، وطلبُ الرّزق في اللّيل ممكنًا، وذلك عند طلوع القمر على الأرض، أو عند الاستضاءة بشيء له نورٌ كالسِّراج، فإنَّ ذلك قليل نادر مخالف لما يألفه العباد، فلا اعتبار به[3].

معنى الواو ودلالتها في ﴿وَلَعَلَّكُمۡ﴾:

تعريفهم بنعمةَ اللهِ في ذلك فيشكروه عليها

الواو في قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ حرف عطف، حيث عطف على العِلَّتَين السّابقتين، أي: ﴿لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾، رجاءَ شكرهم على هاتَيْن النِّعمتَيْن اللَّتَين هما مِن جملة رحمة الله سبحانه بالنّاس، فالشَّأن أن يتذكَّروا بذلكَ مظاهرَ الرَّحمة الرَّبانيَّة وجلائلَ النِّعم فيشكروه بإفرادِه تعالى بالعبادَة. وهذا تعريضٌ بأنَّهم كفروا فلم يشكروا[4].

والتقدير في ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾: ولكي تعرفوا نعمةَ اللهِ في ذلك فتشكروه عليها، وهو تعليلٌ آخرُ للجعل المذكور في قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحۡمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾؛ ولذلك صُدِّر بأداة العطف[5].

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 7/ 370.
(2) البِقاعيّ، نظم الدُّرَر: 14/ 345.
(3) الشوكاني، فتح القدير: 4/ 213.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 20/ 171.
(5) ابن كمال باشا، تفسير القرآن: 8/ 54.

معنى (لعلَّ) ودلالتُها في لفظ ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾:

شُكر المنعِم الجليل على فضله العظيم الجزيل

(لعلَّ) في قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ على حقيقتها في إفادة معنى التَّعليل؛ أي: علَّة تعريف الله سبحانه نعمَه عليكم مِن تعاقب اللّيل والنَّهار وسكونِكم في اللّيل وابتغائِكم من فضله في النَّهار هي رجاءَ الشُّكر على نعمه، ومَن شَكَر فإنَّما يشكر لنفسه. فحاصل المعنى: أنَّ من رحمة الله سبحانه أنَّه زاوَجَ وراوَحَ بين اللّيل والنَّهار لأغراضٍ ثلاثةٍ: لتسكنوا في أحدهما وهو اللّيل، ولتبتغوا من فضل الله في الآخَر وهو النَّهار، ولتكونوا شاكرين[1].

دلالة التَّعبير بالمضارع:

شكر النِّعم على النعم المتجدِّدة ليلَ نهار

التَّجدُّد والاستمرار الّذي دلَّ عليه المضارع في قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يفيد وجوبَ تجدُّدِ الشُّكر ليناسبَ تجدُّدَ النِّعم المتتالية المتعاقبة تعاقب اللّيل والنَّهار.

نكتة حذف مفعول:

حُذِفَ المنصوب على التعظيم للفعل: ﴿تَشْكُرُونَ﴾ للعلم به، وهو الرَّبُّ المُنعِم الجليل، والتَّقدير: (تشكروه) ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ﴾ الآية.

بلاغة المحسّن البديعيّ المعنويّ (التَّفسير):

تنبيه العقل على موضعِ المِنَّة بإرسال النعم ومنعها

في قوله تعالى: ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ محسّن بديعيٌّ معنويٌّ يُسمَّى (التَّفسير)، وهو يعني تَفْصيلَ المُجْمَلِ، فها هنا بدأت الآية الكريمة بذكر الرّحمة بالإجمال ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ ثمّ فَصَّلَتْ هذا الإجمالَ في ثلاث عبارات، **الأولى:** ﴿لِتَسْكُنُواْ فِيهِ﴾ وهي بيانُ عِلَّةِ الأوَّل الّذي هو (جَعْلُ اللّيل)، **والثّانية:** ﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن

(1) الزَّمَخْشَريّ، الكشّاف 3/ 429.

فَضْلِهِۦ﴾ وهي بيانُ عِلَّةِ الثّاني الّذي هو (جَعْلُ النّهار)، **والثّالثة**: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ وهي بيانُ عِلَّةِ الأوّل والثّاني معًا، أيْ (جَعْلُ اللَّيلِ والنَّهار). ثُمَّ يأتي التَّوجيهُ والتَّذكيرُ مِنْ فِعْلِ ﴿تَشْكُرُونَ﴾ نحو المقصود الأصليّ، لأنّه يعني تَشْكُرونَ هذه الرَّحمةَ الَّتي ذُكِرَتْ مُجْمَلَةً ثُمَّ فُصِّلَتْ لكم هذا التَّفصيل.

وفي هذه الآيات، تنبيه إلى أنَّ العبد ينبغي له أن يتدبَّر نعم الله عليه، ويستبصرَ فيها، ويقيسها بحال عدمِها، فإنَّه إذا وازَنَ بين حالةِ وجودِها، وبين حالة عَدَمِها، تنبَّه عقلُه لموضعِ المِنَّة، بخلاف مَن جرى مع العوائد، ورأى أنَّ هذا أمرٌ لم يَزَلْ مستمرًّا، ولا يزال. وعمي قلبُه عن الثَّناء على الله تعالى بنعمِهِ، ورؤية افتقار نفسِه إليها في كلِّ وقت، فإنَّ هذا لا يحدث له فكرةُ شكرٍ ولا ذكرٍ[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الابتغاء والطَّلب:

الابتغاءُ هو الاجتهادُ في الطَّلَب

الفرق بينهما أنَّ الابتغاءَ قد خُصَّ بالاجتهادِ في الطَّلَب[2]، فمتى كان الطَّلَبُ لشيءٍ محمودٍ فالابتغاء فيه محمود، نحو قول الله سبحانه: ﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾ [الإسراء: 28].

والمعنى المحوريّ لجذر الابتغاء: تزايدُ الشَّيء نموًّا وقوَّةً توصُّلًا لاكتمال حاله؛ ومن التَّزايد اتجاهًا وتهيؤًا لاكتمال الحال جاء معنى الاجتهاد في الطَّلب الموجود في الابتغاء[3].

أمّا المعنى المحوريّ لجذر الطَّلَب: فهو استجلابُ الشَّيء من بعيد[4]؛ فيقال: بئرٌ طَلوب: بعيدة الماء، وأطلبَ الماءُ إذا بعُد فلَم

(1) السَّعدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 623.
(2) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ، والفيروزآبادي، البصائر: (بغي).
(3) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (بغي).
(4) محمّد جبل، المعجم الاشتقاقي: (طلب).

يُنَل إلا بطلَب؛ ومن هذا جاء طَلَبُ الشيء، وهو سَعيٌ إلى وجدان الشَّيء وأخذه[1].

الحمد والشُّكر:

الحمدُ باللِّسان، والشُّكرُ باللِّسان والجوارح والجَنان

الحمد: هو الثَّناءُ باللِّسان على الجميل، والشُّكر: فعلٌ ينبئ عن تعظيم المنعِم لأجل النِّعمة، ويكون باللِّسان والجوارح والجَنان؛ فالحمد أعَمُّ من الشُّكر من جهةِ أنَّه يعمّ النِّعمةَ وغيرَها[2]، أمّا الشُّكرُ فإنّه لا يكون إلا على نعمةٍ مُسداة[3]، والحمدُ أخَصُّ منه مَوردًا؛ إذ هو باللسان فقط، أمّا الشُّكرُ فمَوردُه اللسانُ وغيرُه؛ فدلَّ ما سبق على أنَّ بينهما عمومًا وخصوصًا[4].

وممّا يَلفِتُ النَّظرَ أنَّ الحمدَ في القرآن يأتي ابتداءً، أمّا الشُّكر فيأتي بعد ذِكر النِّعم مختتَمًا به الآيات الكريمة، وذلك ممّا يدلُّ على أنَّ الحمدَ يقع لمطلَق الثَّناء، وأنَّ الشُّكرَ يكون لمَن أولاك معروفًا، ويدلُّ أيضًا على تصدُّر الحمد للثَّناء على الله ﷻ بأسمائه وصفاته الحسنى، فكان افتتاح القرآن الكريم بالحمد في قول الله ﷻ: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: 2]، وقال ﷻ في سورة فاطر: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر: 1]، وغيرهما من السّوَر الّتي افتُتِحَت بالحمد كالأنعام والكهف وسبأ[5].

أمّا الشُّكرُ فيرِد في أواخر الآيات؛ لأنَّه ثناء على الله تعالى بنِعمه، ولا يتمّ ذلك إلا بذِكرها مقدَّمة على الشُّكر، قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٥٢﴾ [البقرة: 52]، وقال جلَّ شأنه:

(1) الجوهريّ، الصّحاح، وابن منظور، اللّسان: (طلب).
(2) العسكريّ، معجم الفروق اللُّغَويّة، ص: 201، 202.
(3) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحُفّاظ: (حمد).
(4) العسكريّ، معجم الفروق اللُّغَويّة، ص: 201، 202.
(5) محمد ياسين خضر، دقائق الفروق اللُّغَويّة، ص: 227.

﴿وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة: 6]، وقال تعالى: ﴿وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾ [الأنفال: 26]، وغير ذلك من الآيات الكريمة، ولَم تُختَم آيةٌ بالحمد كتلك الآيات، فلَمْ يَرِد في القرآن الكريم لعلكم تحمدون[1].

(1) محمد ياسين خضر، دقائق الفروق اللُّغَوِيّة، ص: 227.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والأربعون،
سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 41 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-92-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 41 : المجلد الحادي والأربعون، سورة القصص من الآية 21 إلى سورة العنكبوت الآية 03.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-92-1
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-2914887 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»